العلامة الفذ الشيخ الطاهر العبيدي حياته وآثاره (1304-1387هـ/1886-1968م)

بقلم:
الأستاذ الدكتور / عاشوري قمعون
أستاذ بقسم العلوم الإنسانية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة الوادي

ملخص

يتناول هذا العرض أحد أعلام منطقة سوف وعلمائها ، الذي تركوا بصماتهم في الحياة العلمية والفكرية والاجتماعية

فبعد تخرجه من جامع الزيتونة انتصب الشيخ الطاهر العبيدي للتدريس والتأليف حيث أثرى المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات المتميزة

كما تخرج على يديه العديد من الرجال الذين كانت لهم أدوار في التربية والتعليم وخدمة الوطن.

سنتعرف في هذا المقال على جوانب من حياة هذا الشيخ وأبرز محطات حياته.

الكلمات المفتاحية: الطاهر العبيدي – حياته– أثاره – تلاميذه

توطئة:

تناولت بالدراسة والتحليل المستفيض حياة شيخ كبير، يعد من فطاحل علماء سوف منبتا، وتقرت مأمنا، هو العلامة بحق، الشيخ الطاهر العبيدي، وذلك بغية

أخذ العبرة من سيرته، والنهل من مآثره ومناقبه، والاستفادة من تعدد تجاربه، وهذا لسببين اثنين:

أولهما: معرفتي به منذ نعومة أظافري، حيث كان والدي يسوقني إلى حضور درسه عند عودته من وادي ريغ صيفا، وأنا لا زلت غضا طريا. كما أسعفني الحظ بمجالسته وقد بلغ من الكبر عتيا، وذلك برفقة أخيه الشيخ أحمد عام 1967 بسقيفة منزله بحي أولاد أحمد. وقد طلبت من شيخي إذا بإمكان الشيخ الطاهر يدرسني فن التجويد، فلم ير مانعا.

ثانيهما: إن الشيخ الطاهر رجل علم بمعنى الكلمة. ويتصف بصفات وخصال نادرة، قلما نعثر عليها لدى غيره من أترابه. وهو الذي تولى الفتوى منذ صغره، حتى لقب بمالك الصغير، وشيخ الإسلام. وقد تكفل بإعالة شقيقه أحمد عقب وفاة والدهما، وتحمل مشقة تعليمه شخصيا، ثم بعثه لمواصلة دراسته بجامع الزيتونة على حسابه الخاص.

مولده ونشأته :

ولد العلامة الشيخ الطاهر في حي أولاد أحمد بمدينة الوادي خلال عام 1304هـ/1886م[1]، وهو يجاور مسكن الشيخ العلامة إبراهيم بن عامر. ينتمي إلى أسرة فقيرة، حيث كان أبوه صاحب عيال، يمارس حرفة الحدادة للحصول على قوت يومه، ويدعى لعبيدي أو(بيدي) نسبة إلى أولاد سيدي عبيد، القاطنين ببئر العاتر ولاية تبسة حاليا. حيث نزح منها جد العائلة واسمه بالقاسم الحداد خلال القرن 12هـ/18م، وهو من أولاد عبد الملك فريق أبي طارفة. وكان بالقاسم هذا رجلا تقيا ورعا، فأواه يوسف أحد أبناء سيدي مستور، وزوجه بابنته مبروكة، وانتسب عندئذ لأهل سوف. وأنجب من زوجته ثلاثة أبناء هم: علي ونصيب وسعد. ومن الأول جاء عمارة والعبيدي والد الشيخ الطاهر.[2]

تزوج أبوه لعبيدي مرتين: الزوجة الأولى من عائلة قماري بحي الأعشاش بالوادي، أنجبت له: علي ومصطفى (1883-1967م). ثم بنى بامرأة ثانية من حي المصاعبة، تدعى ضية بنت بالقاسم بن عمران بن مراد،[3] فولدت له من الأبناء: عبد القادر والشيخين، الطاهر وأحمد، ثم البشير(1894-1977م) وبنتا تدعى العزوزية[4]

وقد ولد الشيخ الطاهر بعد سبعة أشهر من حمله، (أي سبوعي) فلفته أمه في جزة من الصوف. وكانت تغذيه بقطرات من لبنها صباحا ومساء، بكل تحفظ ورفق. ولما مر على ولادته شهران صرخ، وكانت تلك صرخة الميلاد الأولى. ففرحت أمه، ونهضت من توها لتصنع له لباسا. [5] وتربى في كنف والديه، وكانت حرفة والده سراجا للبندقية، مما جعله يشعر بصعوبة الحياة، فعقد العزم على أن يعلم أبناءه، حتى ييسر لهم سبل العيش، وينقذهم من الحالة المزرية التي كان عليها الأهالي يومئذ. وكان يستعين بأبنائه الكبار في حرفته مثل: عبد القادر وعلي ومصطفى، الذين لم تتوفر لهم فرصة الدراسة، لانشغالهم بمساعدة والدهم. ولم يسلم من هذه المهنة الشاقة سوى اثنين من أبنائه، هما الشيخان: الطاهر وأحمد اللذان نبغا نبوغا كبيرا في ميدان الفقه الإسلامي واللغة العربية بمختلف فنونها وألوانها.[6]

الشجرة العائلية:

حسبما ورد في شجرة النسب التي دونها الشيخ أحمد العبيدي بخط يده، فإن العائلة تنتمي إلى آل البيت، من نسل أشراف سيدي عبيد. وبموجب هذه الشجرة، فإن الشيخ الطاهر هو ابن العبيدي بن علي بن بالقاسم بن عمارة بن بالقاسم بن سليمان بن عبد الملك بن بالهادي بن أحمد بن خذير بن عبد العزيز بن سليمان بن سالم بن إبراهيم بن عبد الحليم بن عبد الكريم بن عيسى بن موسى بن

عبد السلام بن محمد بن جابر بن جعفر بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء، بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.[7]

دراسته وتعليمه:

عندما انتقل به أبوه إلى مدينة ورقلة القديمة للعمل هناك، أدخله إلى مدرسة الشيخ جلول حابي(1255- 1343هـ/ 1839-1924م) بوسط المدينة، ودرس عليه القرآن في بيته مع عدد كبير من الطلاب،[8] غير أن إقامته لم تطل، حيث رجع أبوه إلى مسقط رأسه، فأدخله عند الشيخ الجديد العزوزي، ثم درس في جامع سيدي سالم مع شقيقه أحمد، على الطالب علي حليلات بن مبروك، الذي اشتهر باسم (علي بالرقية). ثم أدخلهما إلى جامع النخلة بحي أولاد أحمد، القريب من مسكنه. وختم الشيخ الطاهر القرآن الكريم، وتمكن من حفظه وإتقانه. على الشيخ إبراهيم بالقايد(1294-1362هـ/1877-1943م) قبل سن البلوغ[9]، حيث كان عمره حوالي تسعة أعوام. ورافق الشقيقين، ابن عمتهما مبروكة، وهو الأديب الكبير والصحفي القدير الأمين بن يوسف العمودي(1310-1377هـ/1892-1957م)، أول أمين عام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومن مؤسسيها الأوائل**(10)**. ولم يدخل الشيخ الطاهر المدرسة الفرنسية قط. وقد حكى لي شيخي أحمد العبيدي أن أخاه الشيخ الطاهر، عندما يهم بالذهاب إلى الجامع مبكرا في بداية الأسبوع، أي يوم السبت، يرفع رأسه للأعلى ويقول لأخيه أحمد: انظر إلى السماء، إن هذا اليوم هو يوم أسود لأنه يوم اليهود. أما في نهاية الأسبوع أي يوم الأربعاء، عندما يكون الشيخ حينها مقبلا على العطلة الأسبوعية، فيقول لأخيه: انظر إلى السماء، إن هذا اليوم هو يوم أزهر، يضوي وحده، لأنه نهار المسلمين.[11] وظهرت عليه بوادر النجابة ومخايل الذكاء في سن

مبكرة، فشرع في دراسة العلوم الشرعية واللغوية، فحفظ المتون المعروفة في التفسير والفقه والحديث والأصول... وتفتقت عنده الملكة الفقهية، وهي بمثابة الرصيد المخزون الذي راح ينمو باضطراد عجيب، ويتصاعد وفق خط بياني واضح في حياته العلمية.

ثم صار يتردد على حلقات دروس مشاهير وأعيان من علماء العصر من أرض سوف، مثل: الشيخ عبد الرحمن العمودي[12] الذي كان أول من قرأ عليه في داره بالمصاعبة (دار الطالب) علم القراءات ومتن ابن عاشر ورسالة ابن أبي زيد القيرواني ورسالة الشيخ السفطي والتوحيد والحديث النبوي. ثم لزم الشيخ محمد الصالح (ت.عام 1909م) بن موسى الذي كان من أوائل أساتذته. ثم واصل تعليمه على يد ابنه العالم الهمام، الشيخ محمد العربي(1290-1323هـ/1873-1905م)[13] الذي درس عليه علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة... وتم ذلك في زاوية سيدي سالم. وقد تفتحت على يديه مواهبه اللغوية والعلمية. وكان أشياخه يجلونه ويقولون هو أوفر من قرأ علينا عقلا، وأكثرهم تحصيلا. فما رأينا من التلامذة أنجب منه. كان في ذلك موضع إعجاب شيوخه من فرط ذكائه. لهذا نصحه الشيخان: عبد الرحمن ومحمد العربي بمواصلة الدراسة بجامع الزيتونة.[14]

لقد أجمع كل الذين ترجموا للشيخ العبيدي، أنه أخذ علوم الشريعة واللغة عن الشيخين عبد الرحمن العمودي ومحمد العربي بن موسى، ولكنهم لم يشيروا إلى أنه تتلمذ على الشيخ القاضي عمارة من قرية " تاغروت "، ولم يذكروا أنه كان يحضر إلى دروس الشيخ الصادق بالهادي العقبي(1869- 1939) مع صديق طفولته، الشيخ إبراهيم بن عامر(1875- 1932)، مع أن الشيخ الصادق بن محمد الهادي العقبي كان يتبرع بدروس في زاوية سيدي سالم بالوادي. ومن هنا نفهم أن

تلمذة الشيخ العبيدي على الشيخ الصادق بالهادي كانت من تلك الدروس في تلك الزاوية [15].

سيرة الشيخ الطاهر العبيدي :

هو واحد من العلماء الذين نشأوا وترعرعوا في سوف، ودرسوا ودرّسوا. إنه العلامة الشيخ الطاهر الفقيه الأصولي، الأديب، الحجة، المتصوف، الذي سبق الشيخ عبد الحميد بن باديس (1307-1359هـ/1889-1940م) في متابعة دراسته في جامع الزيتونة، وارتبط معه بصداقة حميمة، عند زيارة ابن باديس مدينة تقرت عام 1919م، وهذا رغم اختلاف المشارب والمآرب.

لقد كرس هذا العلامة الكبير حياته وشبابه لمدة تزيد عن ستين عاما في تكوين الشباب والرفع من مستواهم المعرفي، سواء في وادي سوف أو في تقرت، وهذا ما دفعني إلى إبراز بعض مساهماته العلمية.

صفاته الجسمية والخلقية:

كان فارع القامة، أسمر البشرة بخلاف أخيه أحمد الذي كان أبيض مشربا بحمرة. وكان هادئا ومسالما، يتصف بالرزانة، ويغلب عليه طابع الحياء. كان قوي الحجة، ومفتيا بارعا، غير أنه يتهيب من الفتوى ولو كان السؤال في القواعد النحوية. وكان يوصي المستفتين بالاتصال بشقيقه أحمد الذي كان أجرأ منه في الفتوى. كان لغويا محنكا لا يشق له غبار. قوي الذاكرة، ملما بأغلب المتون الفقهية والنحوية. فهو عالم عامل، جهوري الصوت، طيب المعشر، حيث كان يعامل طلابه وكأنهم أبناؤه، فكان بمثابة الصديق الحميم والأخ الكريم. كثير الحياء، عندما يمشي لا يلتفت يمينا ولا شمالا كأنما على رأسه الطير، بل ينظر أمامه حتى يغض بصره عن كل شيء. لا يتحدث في أحد، ولا يعيب أحدا. قليل الكلام، لا يتكلم إلا بمقدار.

قال فيه الشيخ خليل بن مصطفى القاسمي: عندما حضر الشيخ الطاهر في

الزاوية القاسمية بالهامل، صار جماعة من العلماء يتجادلون في حضرته، فعلق على ذلك الشيخ بقوله: وفي ذلك فليتنافس المتنافسون. وقال الشيخ محمود القروي(1915-2003): عندما يذكر أحد بسوء في حضرة الشيخ الطاهر، يقول الشيخ: هذا خلق الله.(16)

لا تفارق الابتسامة محياه، حليم، مقتد بربه، ومتخلق بأخلاق أنبيائه وأوليائه. بعيد عن المكاره والأنكاد. وقد قال فيه الحاج أحمد جاري، إمام الجامع الكبير، المشهود له بالتقوى والثقة، لما سئل عنه، فأجابهم بما يلي: " لو وجدت شيئا يستحق النقد أو الملاحظة، لصرحت به؛ ولكن ما عساي أن أقول. إن الشيخ طيب القلب، مخلص في العمل، ومتخلق."

وكان الشيخ الطاهر مليح التوسل، كثير التودد، سمح السمت، طلق المحيا، عذب النطق، متواضعا بشوشا، وفيا نصوحا بلين لعامة الناس.

كان تقيا عفيفا، طاهر القلب، كريم النفس، عالي الهمة. لم يتدنس عرضه بأذى، ولم تصب عين كماله بقذى. ولم يقف موقفا يزين فيه لريبة، ولم يعثر له على ما يخدش في كماله وفضله، أو يحط قدر شرفه ونبله. وقد سمعه نجله المكي يقول: "ما ترتب علي حكم السهو في الصلاة، ولا قرنت صلاة مع أختها، ولو كانتا مشتركتي الوقت طول عمري"

كما ذكر نجله الشيخ المكي، أن أحد زملاء والده ذكر له أنه تخالط مع الشيخ الطاهر منذ نعومة أظافره، وبقيت العلاقة حتى اليوم، وها نحن قد بلغنا من الكبر ما بلغنا. فهو عفيف، تقي من زمن الصغر، إلى حد هذه السن. وقد جازاه الله عن ذلك في الدنيا، كما سيجازيه في الآخرة. ففي الدنيا، قد من الله عليه بالصحة والعافية والاستقامة. فكان موفور القوة، سليم البنية، معافى من الأمراض والعاهات والآفات. وقد بلغ هذه السن وهو يطالع بدون نظارات.

كان الشيخ حازما في أعماله، ضابطا موفقا، لا يتخلف عن الدرس مهما كانت الضرورات والحوادث. حكى عن نفسه فقال: " مات لي ولد، فدفنته في الصباح. ومن الجنازة ذهبت إلى الجامع، وباشرت الدرس."

كان رفيع الملبس بلا تصنع، نظيف البزة، يرتدي أعلا البرانيس في فصل الشتاء. ويتحلى طوال العام بثياب فاخرة، ويتعطر ويتنعم بالطيبات من الرزق، وبزينة الحياة التي أحلها الله لعباده. كان يوسع في نفقة أهله، ويصل رحمه. يكرمهم، ويقضي عنهم ديونهم في حالة عجزهم.

يتودد إليهم بالزيارة، وبأنواع الطرف والهدايا، ويلاقيهم بالبشاشة والترحيب، ويبادرهم بالسلام إذا قابلهم.[17]

هجرته إلى تونس:

عندما بلغ من العمر ثماني عشرة سنة، أي عام 1322هـ/1904م، شد الرحال إلى جامع الزيتونة المعمور، ودرس هناك مدة ثلاث سنوات[18] على يد كل من: الشيخ الطاهر بن عاشور والشيخ محمد الخضر بن الحسين والشيخ أحمد بن مراد والشيخ حسن بن يوسف والشيخ محمد النجار والشيخ أحمد البنزرتي والشيخ صالح الهواري والشيخ خليفة بن عروس والشيخ النخلي والشيخ ابن محمود وغيرهم.[19] كما أخذ الإجازة بالمراسلة من الأستانة عن الشيخ محمد المكي بن مصطفى بن عزوز، الذي هاجر إلى تركيا، وتوفي فيها عام 1915م.

ولما مرض الشيخ محمد العربي، عاد إلى الوادي، فقال له طلبته من سكان تقرت: إنك تركتنا بدون شيخ، فأجابهم على أنه سوف يخلفه تلميذه، الشيخ الطاهر بعد وفاته. ولما كان الشيخ الطاهر لا يزال يطلب العلم بالزيتونة، توفي شيخه محمد العربي يوم الأربعاء 17 ذي الحجة عام 1322هـ/ 22 فيفري 1905م.

رجوعه إلى مسقط رأسه:

لم يمكث الشيخ الطاهر أكثر من ثلاث سنوات في تونس، ذلك أن ظروف والده المادية كانت متدهورة، فعاد إلى بلاده دون أن يكمل تعليمه العالي، ومع ذلك استطاع أن يواصل دراسته عصاميا، اعتمادا على مصادر الفقه الإسلامي واللغة العربية، حتى تمكن من احتلال مكانة مرموقة، جعلت منه الحجة الدامغة، والبرهان الساطع. وتصدى لنشر العلم والمعرفة في أوساط الناس، ومن مختلف الطبقات، بجامع سيدي المسعود بسوق الوادي وجامع النخلة، وهو يتدفق حيوية، ويزخر بالعلم، وبما أنعم الله عليه. وكان يحس أن على كاهله أمانة ثقيلة ورسالة شاقة، فآل على نفسه الاضطلاع بها. تصدى لنشر الثقافة الإسلامية وتعليم الناشئة، غير أنه لم يطل به المقام في البلد الذي درج فيه طفلا، وترعرع فيه شابا، وتقلب بين جوانحه يافعا، حتى وجد نفسه مضطرا إلى مغادرة الأسرة والقبيلة، تاركا العشيرة والبيئة، متجها نحو مدينة تقرت.

رحيله إلى تقرت وعمله هناك:

رحل إلى مدينة تقرت عام 1326هـ/1907م، أي عندما بلغ 22 عاما،[20] لتصبح هذه الأخيرة فيما بعد، هي موطنه ومحل إقامته، ويستقر فيها استقراره النهائي الذي دام ما يفوق الستين سنة. لقد قام بعد رجوعه من تونس، بزيارة شيخه ومعلمه للقرآن في ورقلة الشيخ جلول حابي، إقرارا بفضله، وتقديرا لجنابه[21]

أما السبب الرئيس الذي جعل مترجمنا ينتقل من سوف إلى مدينة تقرت، فكان تنفيذا وفيا ومخلصا لوصية أستاذه محمد العربي بن موسى[22]، الذي أشار عليه أن يخلفه في الإمامة والتدريس بالمسجد الكبير بحي مستاوة بمدينة تقرت.كان ذلك الانتقال بداية عهد جديد، وكان أيضا بداية للاضطلاع بمهمة جليلة، مثقلة بالمسؤوليات، وكان كذلك بداية لرحلة في مجال الخطابة والتأليف والإفتاء

والاطلاع الواسع الذي لا يعرف التوقف والانقطاع، رحلة مليئة بالعطاء والتبليغ وهداية الخلق.

جلس في أول درس بالمسجد الكبير، متقدما الحلقة والعيون تراقبه من حيث المقدرة والكفاءة، وهذا تم باقتراح من أحد التلاميذ، وبإيعاز من المسمى حمى علي كافي، وذلك اختبارا لمقدرته العلمية والأدبية. وكان الدرس الأول من متن ابن عاشر. ولما استفتح درسه، تبحر في الشرح والتعقيب والاستدلال، حتى شهد له الجميع بالكفاءة التامة. وشرع الناس يتوافدون على دروسه كبيرا وصغيرا، زرافات ووحدانا[23].

منح الأستاذ الإمام الطاهر العبيدي للرسالة التي أنيطت به، كل ما يمتلك من مجهود علمي، ولم يبخل بكفاءته التي راحت تتنامى وتزيد مع الأيام. وكانت تجربة دسمة بالثراء الفكري والرؤية النيرة التي تدفع عن هذا الدين الشبه التي يثيره المبطلون، ويروج له المرجفون الذين يتربصون بالإسلام، ويتابعون مسار رسالته. ومن أجل ذلك، لم يتخل الشيخ الطاهر العبيدي يوما واحدا عن أداء هذه الأمانة منذ أن تحملها سنة 1907م، وقام بها أحسن قيام، وأدى ما عليه نحو ربه ودينه وأمته، رغم الظروف غير الملائمة في كثير من الأحايين، وافيا غير منقوص إلى آخر يوم في حياته. وكان الشيخ العبيدي-وحده- عالم منطقة ورقلة وفقيهها المجتهد، ومثقفها الأكبر، لا يشاركه في ذلك مشارك طيلة ستين سنة.

كما اضطلع بمهمة ثقيلة في مجال الخطابة والإفتاء والاطلاع الواسع والتأليف. ومنح لرسالته كل ما يملك من مجهود علمي.[24] فهو إمام في الفقه، ومن فيه تؤخذ أحكامه. وكان من أعلم فقهاء زمانه، حتى لقب بخزانة الفقه. وأما الأصول، فهي فرع من علومه، والمنطق مقدمة من مقدمات مفهومه. وأما النحو، فلا كلام فيه لأحد سواه، يطلق عليه سيبويه الأصغر. وإن نظرت إلى المعاني

والبيان، فهما أنموذج مزاياه. إذا استخدم القلم، أبدى سحر العقول. وإن جرت الحروف على وفق لسانه، وقف بين المعقول والمنقول، وإذا ناظر، عطل من يجاريه مجاري الأنفاس، واستنبط من بيان منطقه علم الجدل والقياس. لا يتحدث في فن، إلا ظن سامعه أنه لا يحسن غيره.

فهو فرد العصر الذي لا نظير له: ذكاء، وفطنة، وفصاحة. كثير التحصيل للعلوم في كل فن، واسع الدراية والرواية، مفخرة زمانه، مجتهد في أعماله لإعلاء شأن دينه ووطنه.

كان له إقبال بارع في الجنوب، ولا سيما في تقرت، والوادي، وورقلة، والزاب، وعروش أولاد نائل. فكان بذكره تطرب المجالس. فلا يذكر في مجلس، إلا والنفوس متشوقة لما يحكى عنه. وكان في التواضع والإنصاف والاعتراف بالحق في الغاية وفوق النهاية. لا أعلم له نظيرا في ذلك: شبابهم وشيبهم، يقتفون آثاره، ويسمعون لقوله، ويستبقون لتلبية أمره، ويعملون بإشارته ورأيه. ويرون فيه في الشريعة قائدهم الأعلى، وملاذهم الأسمى، فأخلصوا له الوفاء، فبادلهم حبا بحب، وعطفا بعطف. وإخلاصا بإخلاص. وأحبوه كل الحب، في حدود الدين والشرع الحنيف.

له من القبول والهيبة والإجلال في القلوب، مالم ينله غيره من علماء عصره، لينا هينا حتى في مشيه. والأطفال يتزاحمون لتقبيل أطرافه، ما ترى أحسن منه خلقا، ولا أوسع صدرا. يوقر الكبير، ويقف مع الصغير. ويتواضع للضعفاء. معظما جانب النبوة، فعاش هو أيضا معظما ممدوحا من جميع الناس، محببا إلى جميع النفوس، متحاشيا الأعراض والأغراض، مترفعا عن سفاسف ذوي النفوس المراض، حتى أن سكان تقرت والوادي يلقبونه بهذا الاسم " أبا الشيخ "، أي والدي الشيخ. وهذه الكلمة تصدر من الرجال والنساء: كبيرهم وصغيرهم. لم

تشهد تقرت مثله عبر جميع عصورها. ولا ريب أن تفاخر هذه البلدة بهذا السيد، عالما مسالما، ذائع الصيت في هذا كله. ولقد حرص سكان هذه البلدة على ذكراه حرص الضنين، فأنشأوا مدرسة ومسجدا أطلقوا عليهما اسم " عبيدي الشيخ الطاهر". نعم، يستحق كل هذا التبجيل، صاحب الأثر الرائع، والنوال الذائع في العلوم الشرعية. وتعتبر تآليفه للقارئ حجة قاطعة حسية.

الشيخ أحمد يثني على الشيخ الطاهر:

قال فيه شقيقه وتلميذه الأديب العبقري، الشيخ أحمد العبيدي، القصيدة التالية:

أقول لمن يبغي الحياة لدينه ومن يطلب العلم النفيس إلى الأخرى
إذا كنت محتاجا لطلعة مرشد نصوح يريك الطي في درسه نشرا
ومن قصبات السبق في حلبة حوى وآيات تحقيقاته تعجز الحبرا
فذا الشهم شاف للغليل وإن ترد فجرب تجد ما لست تدري له حصرا

علاقته الطيبة مع شقيقه أحمد:

لقد بلغ درجة الاجتهاد في الاستنباط، وتأسيس القواعد، وتبيين المقاصد التي لا يدريها ولا يحيط بها إلا من وقف على حقائقها[25].

جلب معه إلى تقرت، أخاه الشيخ أحمد الذي تربى يتيما، فكان يدرسه وينفق عليه رفقة ابن شيخه الميداني موساوي.[26] ثم أرسل أخاه على حسابه الخاص إلى جامع الزيتونة لإتمام دراسته، إذ كان الشيخ مشغولا بتدريس الطلبة، فلم يعد قادرا على تخصيص جزء من وقته لتلبية رغبة أخيه المتفوق، وتوجه أحمد إلى تونس لإتمام كتابين لم يدرسهما [27]وكلما عاد الشيخ من مدينة تقرت،كان يرسل الهدايا إلى ابنة شيخه مسعودة بنت إبراهيم بالقايد[28]

وأجاز تلميذه وشقيقه الشيخ أحمد، الذي كان يكنّ له كل التقدير، ويدعوه "سيدي الشيخ". ومما يعضد كلامنا هذا، ما ورد في مؤلفه الموسوم بـ" النصرة

الوفية في الذب عن الصوفية " قوله: والأولياء في ذلك تبع للأنبياء، لأن الكرامة شاهدة للمعجزة. والعلماء ورثة الأنبياء في الرحمة والحرمة، وإن تباينا في أصل الفضل اهـ. نقلت كلام القواعد هذا، من خط شيخنا الإمام النحرير، سيدي الطاهر بن العبيدي، خلد الله ذكره، وأطال بقاءه لنفع المسلمين آمين[29].

إجازته لشقيقه:

أجاز الشيخ الطاهر شقيقه أحمد عام 1338هـ/1920م بإجازة هذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

هذه إجازة على سبيل الوجازة من فقير ربه الطاهر بن العبيدي لطف الله به وعفا عنه بمنه:

حمدا لمن قد جعل الإجـازه ... توصل بالأستاذ من أجـازه

أشكره تخصيصه بالسنـــد ... أمة خير المرسلين سنـدي

صلى عليه الله في كـل أوان ... مع السلام أبدا بلا تـوان

هذا وإني قد أجزت حاملـه ... إجازة لكل خير حاملـه

في كل علم فأنا متصـــل ... بشيخنا والغير بي يتصـل

سواء المعقول والمنقـول ... فإنه بصلتي موصـــول

وإنني من سيدي مجـــاز ... حقيقة ليس لها مجـــاز

بكل ما جازت له روايتـه ... بخطه الشريف أو درايتـه

وشيخنا مكي بن عزوز الأجل ... وما أصح علمه وما أجـل

أجازه شرقا وغربا نفـــر ... محنكون إذ لعلم نفـروا

كالشيخ دحلان وكالـدراجي ... والعلوي أيضا غياث الراجي

وكابن الحفاف وكابن مـوسى ... وكان في إسناده قاموسـا

وغيرهم كيوسف النبهـاني ... من كل حبر مسند نبهـان

أخبرني الأستاذ أن ثبتـــه يبلغ أجزا حبذا ما أثبتــه
قلت فهذا سيف إسناد فرى وغيره كالصيد في جوف الفرا
ثم المجاز أحمـد العبيـدي شقيقنا قانص كل صيـــد
الناظم الناثر ذو العلم الصريح بفكره الوقاد والفهم الصحيح
محب أهل الله والطريقـــه لا زال ينحو للهدى طريقـه
أجزته بكل ما لفقتـــــه من نثر أو نظم لقد نمقتـه
وكـل ما أفهمت أو ألهـمت وما تلقيت ومـــا رقمت
وكل ما قرأت عن أستاذنـــا العربي بن موسى أو ما أذنـا
أو غيره من كل ذي علم همى بالواد أو تونس أو غيرهمـا
وما نظرته وما حضرتـــــه أجزته في الكل ما حظرتــه
إجازة بشرطها المـــــأثور في كل ما منظوم أو منثــور
ولست والله بأهل أن أجيــز فإنني القاصر ذو العلم الوجيز
لكن تشبهت بقوم كرمـــوا إن الطفيلي لديهم يكـــرم
وربما يكون راو أعقـــــلا من شيخه فيما إليه نقــلا
هذا وأوصيه بتقوى اللـــه مجتنبا كل رجيـــم لاهي
ويسأل الطاهر حسن الخاتمه مصليا على الرسول الخاتمه
والآل والأصحاب والأثبـات من كل حبر محرز الإثبـات

نظمه ورقمه فقير ربه الطاهر بن العبيدي بتقرت يوم الجمعة 14 جمادى الثانية سنة 1338هـ/05 مارس 1920م. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.(30)

وبعد ما حصل الشيخ أحمد على الإجازة من شيخه وشقيقه، بدأ التدريس متطوعا بجامع سيدي المسعود الشابي بسوق الوادي، ابتداء من عام 1341هـ/

1922م،[31] وكان يعتمد في معاشه على ما يجود به جماعة المصلين، وعمره وقتذاك 34 عاما. كما كان ينوب عن شقيقه الشيخ الطاهر في التدريس بمدينة تقرت عند غيابه.[32] وقد طلب محمد بن أحمد بوليفة، الذي كان يحضر درس الشيخ الطاهر بتقرت، أن يلتمس من شقيقه أحمد القيام بالتدريس في تقددين بجامعة، فوافق على ذلك.

مكانته بين علماء عصره:

استمر الشيخ الطاهر في دروس الوعظ والإرشاد والتوجيه الديني مدة 60 عاما، حتى صار عالم تقرت وفقيهها الأكبر بدون منازع. ولهذه المكانة المرموقة التي تبوأها، لقب بمالك الصغير.[33] وقد وصفه تلميذه وابن شيخه الشيخ الميداني موساوي بأنه شيخ الإسلام في الجزائر.[34] وقال فيه الشيخ عبد المجيد حبة: لم أر فقيها متمكنا وأصوليا قادرا بعد حجة الفقه الإسلامي خليفة بن حسن القماري في منطقة الجنوب، باستثناء الفقيه الأصولي الطاهر العبيدي. وقال أيضا: كان في العلوم الشرعية والفقه، بحرا لا يوجد من يضاهيه، حتى على مستوى العالم الإسلامي.[35]

منهجه في تفسير القرآن واحتفاء الناس بختمه:

شرع الشيخ الطاهر في تفسير القرآن الكريم ابتداء من الآية الكريمة التي توقف فيها شيخه محمد العربي موساوي:﴿**وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلاَقَ فَإِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[36]. وكان الشيخ يستعد استعدادا جيدا في تحضير درسه، معتمدا على أهم التفاسير المشهورة حينئذ[37] كما كان يقتدي دائما بشيخه محمد العربي موساوي عندما يستفتح الدرس بالمقطع التالي:

يا من يرى ما في الضمير ويسمع ... أنت المعد لكل ما يتوقـــع
يا من يرجى في الشدائد كلهـــا ... يا من إليه المشتكى والمفـزع
يا من خزائن رزقه في قـــول كن ... امنن فإن الخير عندك أجمـع

ما لي سوى فقري إليك وسيلـة فبالافتقار إليك فقري أدفــع
ما لي سوى قرعي لبابك حيلـة ولئن رددت فأي باب أقــرع
ومن الذي أدعو وأهتف باسمه إن كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن تقنط عاصيــا الفضل أجزل والمواهب أوسع
ثم الصلاة على النبي وآلـــه خير الأنام ومن به يتشفـــع[38]

وقد تمكن من إتمام ختم التفسير كاملا يوم الثلاثاء في العاشر من محرم عام 1353هـ/24- 4- 1934م، حيث كان الشيخ يكتفي بشرح آية أو آيتين في اليوم، مما ترتب عليه إنهاء التفسير في مدة ثمانية وعشرين عاما، أو اثنين وثلاثين عاما. وكان يميل في تفسيره إلى الأسلوب القصصي، متمعنا ومتفحصا من جميع الجوانب العقائدية والتشريعية والبلاغية واللغوية والتاريخية. ولم يكن الشيخ مهتما بتدوين التفسير، بيد أن بعض تلامذته قد كتبوا أجزاء منه لا تزال مخطوطة في كراريس، والكثير من الفتاوى والبحوث الأصولية، لكنها - مع الأسف- مبعثرة عند تلامذته وحفدته، والكثير منها ضاع، مما جعلنا نفتقد إلى كنز ثمين، غير قابل للتعويض مطلقا. وعاشت تقرت مهرجانا منقطع النظير، لم تعرف مثيله لا قبلا ولا بعدا. وقد روى ابنه الشيخ المكي أنه قدم جمع غفير من كل الأماكن، مثل: الجلفة وبوسعادة وورقلة، وأحضر لذلك ثلاثمائة قصعة طعام. ولهذه المناسبة، نظم شقيقه وتلميذه العلامة أحمد العبيدي قصيدا جاء فيه:

نزل الكتاب المحكم الآيـات يبدي لنا الماضي وما قد ياتي
فتراه يا باغي الديانة والهـدى مستجمع الأحكام والرغبـات
من أكبر الأشياخ بدر دياركـم الطاهر النحرير ذو النفحـات
قد جاء مثل الغيث في تفسيره لله درك يا أبا البركـــات

منهجه في الفتوى والتدريس:

لقد تضلع الشيخ الطاهر في علم أصول الفقه تضلعا كبيرا، وذلك لإحاطته بالقواعد الكلية للشريعة، وهذا يعود إلى اقتنائه الكبير لكتب العلم والاشتغال بالبحث والتمحيص. واكتسب ملكة فهم واسعة المدارك. واشترط فيمن تتوفر فيه صفات المفتي أن يكون متصفا بالعلم والتقوى، حيث قال:

وكل من يفتي بلا نص جفا وفي بطون الكتب علم كفى
وقل لمن أفتى وليس يدري أكثر فتوى مالـــك لا أدري
فلا تقلد أي مفت مطلقـا إلا إذا شاع بعلـــم وتقى

كانت فتاويه تصدر محررة مدققة، مملوءة فقها ووضوحا. ودام على هذا الحال إلى أن لقي ربه. وإن من أهم وسائل الإرشاد في عصره، نشر العلوم الدينية بين عامة الناس، بمختلف طبقاتهم، بطريقة سهلة التناول، كثيرة التداول. تستفيد منها العامة على اختلاف درجاتها، وتفاوت مداركها. ويجد منها العالم منبرا يرتقيه ليصدع بما أمره الله به، حتى يبين للناس الطريق المستقيم الذي يجب عليهم سلوكه، ليحصل لهم النجاة في الآخرة، والاستقامة في الدنيا. ترى المئات من الناس في الجامع عند إلقاء الدرس، مستمعين إليه بآذان واعية. إذ أن دروسه الوعظية كانت جذابة، تقرع الأسماع، وتتدفق إخلاصا وتفيض بلاغة وتسيل عذوبة ورقة وأدبا.

ذلك هو فضيلة الأصولي النظار المجتهد شيخنا الطاهر العبيدي الذي تصدر للفتوى ومعضلات النوازل، وتحمل بكل نزاهة وإخلاص عبء أمانة نشر العلم في ربوع منطقة وادي ريغ وسوف وحتى ناحية الزيبان خلال سنوات 1325-1387هـ/1907-1968م، فكان بحق الطود الشامخ في رسوخ علمه وثبات دليله وقوة حجته وشدة ورعه وزهده. وقد ظل طوال حياته مؤمنا بأن التقليد

ليس من شيم أهل العلم العاملين. وقد أشار إلى قول الإمام مالك: يجب على العوام أن يقلدوا المجتهدين، كما يجب على المجتهدين النظر في الأدلة.[39]

وقد استفتاه شخص في مسألة تتعلق بتحريم زوجته، فلم يفت له الشيخ الطاهر، وصادف أن حول زميله في الدراسة، الشيخ إبراهيم بن عامر[40] في شهر شوال من عام 1348هـ/ مارس1930م من أولاد جلال إلى تقرت في منصب عدل، فعرضت عليه المسألة، ولما قلبها من مختلف جوانبها، أفتى له بالإرجاع. وعندما راجع المعني الشيخ الطاهر، أجابه أن الشيخ إبراهيم اعتمد على حديث ضعيف، ولما سمع الشيخ إبراهيم بذلك، انتفض غاضبا وقال: إذا لم نأخذ بالحديث الضعيف في مثل هذه المعضلة، فكيف نبحث على الحل إذن ؟[41]

المواد التي كان الشيخ يقدمها للطلبة:

كان الشيخ الطاهر يقوم بتدريس الطلبة المواد التالية:

- تفسير القرآن الكريم وتجويده.
- شرح وتحليل الحديث النبوي الشريف، ويثبت إسناده بدقة ووضوح.
- الفقه على المذهب المالكي.
- التوحيد وفق مذهب أهل السنة.
- الأصول.
- الأحكام الفقهية.
- اللغة العربية بمختلف فنونها وألوانها من نحو وصرف وبيان ولغة وأدب.

أشهر المراجع التي كان الشيخ يزود بها طلابه:

1- الكتب اللغوية:

متن الآجرومية، ومتن قطر الندى وبل الصدا، ومتن ألفية ابن مالك، ولامية الأفعال، والجوهر المكنون، ورسالة البيان.

2- الكتب الفقهية:

متن المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لعبد الواحد بن عاشر، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومتن الشيخ خليل بن إسحاق المالكي، ومختصر الرحبية لابن موفق الدين الرحبي في علم الفرائض، وجوهرة التوحيد للقاني،[42] وحاشية العلامة الإمام الدسوقي على شرح العلامة أحمد الدردير على المختصر. مع العلم أنه كان يلخص جميع المسائل، وكلما أكمل كتابا يجعل له حوصلة[43].

لم يكن طريق الشيخ مفروشا بالورود، وكان يشعر بمضايقة الاستعمار له، حيث كان يتجسس عليه قريزل، وهو أحد الضباط الفرنسيين الذي كان يقوم بوظيفة ترجمان، وكان يتكلم اللغة العربية، ويتنكر في زي لباس عربي بدوي، ويحضر حلقاته في زاوية مظلمة لمراقبة دروسه، غير أن تلاميذه أخبروه بهذا الجاسوس[44].

تلاميذه:

لقد ذاع صيت الشيخ الطاهر ذيوعا كبيرا في أوساط مجتمع تقرت وسوف، حتى أضحى سكان تقرت ينادونه (أبا الشيخ). ونظرا لروحه المرحة وحسن خلقه وطيب معشره، فقد عرفت دروسه إقبالا منقطع النظير. وأينعت دروسه في وقت قريب.

كان الشيخ صبورا مع تلامذته، حتى ولو طلب أحدهم بأن يكرر له نفس الدرس عشرين مرة. وله نظام خاص، حيث يختبر طلابه من وقت لآخر، ومن رآه منهم متفوقا، يمنحه إجازة مكتوبة. ثم يعين لهم دروسا خاصة بمنزله، عرفانا لهم بالتفوق وبالكفاءة في التدريس. وفي حالة بلوغ أحدهم مقدارا معينا من العلم، يرشده إلى مواصلة دراسته بجامع الزيتونة[45]. كان التلميذ يتمم حفظ المتون والحقائق في ظرف يسير، وتكون له- مع ذلك- مشاركة طيبة في الفنون المختلفة. ومن يتأمل في نتائج تلاميذه، يجدهم متفوقين على غيرهم، لدرجة أن

من يشارك منهم في امتحان الشهادة الابتدائية أو الأهلية، يحصل في الغالب على مرغوبه. وهناك من تلاميذه من توجه لجامع الزيتونة لمواصلة دراسته، وعندما أجري له اختبار المستوى، حصل على درجة عالية، ووضع في المستوى المناسب لتلك الدرجة. ومن ينخرط منهم في سلك التعليم بالمدارس الثانوية، يكون نبوغه ظاهرا للعيان، ومتميزا عن الأقران. ولوحظ على تلاميذه الاستعداد العجيب، والتفوق الصريح، والتربية الفاضلة، والأخلاق العالية.

وكان الشيخ يحب طلبته محبة عظيمة، ويحترم ظروفهم المادية القاسية. إذ لم يكن مجرد أستاذ ومعلم فقط، بل كان أيضا يعاملهم بأبوة وعطف وحنان. يتألم لما أصابهم، ويفرح لفرحهم. يزور طلابه في منازلهم، ويأكل من طعامهم، وينصحهم ويواسي مريضهم، ويقوي الكبار على نوائب الدهر. كما يشيع جنائزهم. وإذا تغيب أحدهم عن الدرس، يزوره في بيته، وهذا ما زاده تقديرا واعتبارا في أوساط الكبار والصغار.

تخرج على يديه كوكبة من العلماء من أبناء تقرت العامرة، أمثال: الشيخ الحشاني العمري وشيخ زاوية تماسين التجانية الشيخ أحمد التجاني والشيخ حفناوي بابا عربي والشيخ الطاهر بن دومة والشيخ الطاهر بلحسن والشيخ مدني بن هدية من أعلام العلم بتقرت، والشيخ علي كافي، رئيس أعيان وادي ريغ، والشيخ إدريس معاذ.

كما تخرج على يده الكثير من أبناء مدينة الوادي، منهم: شقيقه الشيخ العلامة أحمد العبيدي، والشيخ الميداني موساوي الذي كان أشهر من نار على علم في ربوع مدينة سوف، والشيخ حمزة بوكوشة(1907-1994م)، العضو المؤسس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والشيخ أحمد الشول(وبري)، والصادق قديري (1923-2014م)، ومصطفى سالمي(1914-1997م)، بالإضافة إلى علي بن

الشيخ العربي سالمي، وحفيده عبد السلام سليماني ومحمد ميدة (1939-1995م) وغيرهم. كما حظي بالتتلمذ على يده أيضا شيخ زاوية الهامل: خليل بن مصطفى القاسمي الذي درس عليه متن السلم المرونق في فن المنطق، والجوهر المكنون للشيخ عبد الرحمن الأخضري، والتحفة في أحكام التلاوة، والقوانين لابن جزي الذي جمع فيه أمهات المسائل الفقهية.

كما درس كذلك الشيخ عبد القادر بن إبراهيم المسعدي الذي كان عضوا بارزا في صفوف جمعية العلماء المسلمين. وله مؤلفات عديدة في الفقه واللغة وغيرهما، ومنها: شرح على تحفة الأفاضل للشيخ العبيدي. ترك عديدا من القصائد لو جمعت لشكلت أجمل الحلل لما تحويه.

نزعته الصوفية:

لقد أدى الشيخ الطاهر العبيدي فريضة الحج عام 1949م مع بعض زملائه على طريق البر بواسطة شاحنة شركة بالفاطمي البشير الخنشلي، وقد سلكت طريق: طرابلس- مصر، حيث توقف الشيخ وألقى درسا في التوحيد بالجامع الأزهر، وصادف هناك الشيخ البشير الإبراهيمي الذي اختلى به ما يقرب من ثلاث ساعات. ثم بعدئذ توجه إلى الأرض المقدسة لأداء فريضة الحج(46). كما عاود الذهاب إلى الحجاز مرة أخرى عام 1379هـ/ 1959م. وعندما وقف على قبر الرسول أشار بأصبعه وقال:

صل رب عن هذا الرسول واصلح قلبي واجعلني مقبول
صل رب عن خير الأكوان طه عربي من نسل عدنـــان

وكان صوفي النزعة، ينتمي للطريقة الرحمانية العزوزية دون تعصب ولا تطرف، بل كان يتصف بالتسامح والمحبة لكل إخوانه الطرقيين الآخرين. ومن أجل رفع البلاء بسبب الوباء الذي حدث في وادي سوف ووادي ريغ خلال عام

1957 أو 1958م، تضرع إلى الله تعالى قائلا:

بالذكر المنــزول وما في كتاب الشفا

من وصف الرسول نزل علينا الشفــا[47]

وقد صادفته عام 1965 وهو في حالة عجز واضح، يتكئ على عصا، مهرولا نحو منزل أخيه المقدم مصطفى(1301-1387هـ/ 1883-1967م) الذي استضاف إخوان الطريقة القادرية، وعندما صادفهم وهم خارجون من منزل أخيه، طلب منهم العودة والإتيان ببعض أمداح سيدي الصالح البسكري، صاحب القصائد ذات الإيقاع القوي، وهذا يدلّ على مدى المودة والمحبة وصدق السريرة التي كان يتميز بها.

أخذ ورد الطريقة التي ينتمي إليها من شيخ زاوية سيدي سالم، الشيخ محمد الصالح(1262-1335هـ/1846-1916م) بن سيدي سالم(1186-1277هـ /1772-1860م) الذي عينه مقدما. وقد نظم مجموعة من القصائد يمدح فيها الطريقة ورجالها.

كان الشيخ كثير الاعتكاف والتعبد، تسيطر عليه الروح الدينية سيطرة كاملة. يميل إلى التصوف الإيجابي، أي أن نزعته الصوفية لا تهدف إلى الانقطاع عن شؤون الدنيا وترك العمل، بقدر ما تسمو بالروح إلى العوالم العلوية، وتخلص النفس من الشوائب الدنيوية التي علقت بها.

وقد استنجد الشيخ الطاهر بالقرآن، فجمع بين نظريتي الاتكال والسعي، واستوحى ذلك من قوله تعالى:﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾ [الملك، الآية 15].

كما كان مرتبطا بالقرآن الكريم ارتباطا كبيرا. وكان يردد الآية الكريمة بصفة دائمة وهي قوله تعالى: ﴿ **لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ**

مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ، وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ، فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ [النساء، الآية 114].

علاقته بالشيخ عبد الحميد بن باديس:

قلت أن الشيخ العبيدي كان يتصف بالتسامح، وهذا يتجلى في العلاقة الحميمة التي كانت تربطه بالشيخ عبد الحميد بن باديس، واللذين لم يتصادفا في رحاب جامع الزيتونة. ورغم اختلاف المشارب والاتجاهات، فقد قام الشيخ عبد الحميد بزيارة مدينة تقرت عام 1337هـ/1918م، وجمعية العلماء لم تظهر بعد، والتقى هناك بالشيخ الطاهر الذي مدحه بقصيدة أرسلها إليه، هذا نصها:

بروحي جليلا حل تقرتنا النضرا ... يفوح شذا أخلاقه المسك والعطرا
فأما محياه المحي فإن مـن ... يشبهه بالبدر مرتكب أمـــرا
أفي البدر من أخلاقه وعلومه؟ ... وهل فيه تحرير التقاريـر والإقـرا؟
ولكنه قد ضم مـع علمـه تقى ... ويسلك في التعليم منهجه الأحرى
وما كان في الحسبان رؤية مثلـه ... بوقت هوت فيه القراءة والقـــرا
رأيت له علما وعقلا مطهـــرا ... وحسن اعتقاد للهدى يشرح الصدرا
هنيئا لكم أهـلي قسنطينة الألى ... لهم غيرة في همة تزحم الشعـرى
ستلقون في علم الشريعة جـدة ... وترقون في الأخـلاق مرتبة كبـرى
فدونكم عبد الحميد ودونكـم ... مآدب آداب لكم تنعش الفكـــرا
ولا زلتم يا آل باديس في اعتلا ... بغير اعتلال لا يرى عزكم ضيـــرا
وتبدون في كل النوادي نـوادرا ... من العلم يقفو النجل آباءه إثـــرا
تروضون من عالي العلوم عوائصا ... وترضون بالأعمال ربكم البـــرا
كما كنتم في غابر الدهر سـادة ... تسوسون ذاك الغرب سيرتكم غرا
فحاصلكم إما مليك مظفـــر ... يهز لواء العدل يبسطه نشـــرا

وإما عليم يبعث الناس علمـــه يحوط مشيد الدين من شبه تطـرا
جزى الله خيرا ذلك السلف الذي تقلد سيف الملك يحمله إصـــرا
وبارك فيكم أيها الخلف الرضى لقد شدتم علما وسدتم ولا فخـرا
سلام عليكم يشمل الكل عـرفه من القيروان للجزيرة الخضـــرا
من الطاهر الود العبيدي محتـدا بتقرت والوادي مناوبة قـــــرا
وأسألك اللهم تطهيـــر قـالبي وقلبي وطيب العيش والفوز في الأخرى
وصل على خير البرايا الذي برى بصمصامه أس الرذائل والكفـــرا
وأصحابه من أكمل الله دينـــهم وآله أمن الله في هذه الغبـــــرا

كان الشيخ ابن باديس في رحلة خارج مدينة قسنطينة، وعند رجوعه من السفر، رد على القصيدة برسالة يعتذر فيها للشيخ العبيدي عن تأخره، في شهر جمادى الثانية عام 1337هـ/ مارس 1919م، هذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

إلى حضرة علم العلم والفضل، ومعلم الكرم والنبل، التقي الطاهر الأثواب، السري البارع الآداب، مستحق الشكر منا بما له علينا من سابق الأيدي، العلامة الشيخ سيدي أبي الطيب الطاهر العبيدي. أدامه الله بدرا طالعا في هالة درسه، وغيثا هامعا يحيي ربع العلم من بعد طمسه، حتى يبدل وحشة قطره بأنسه، ويجني من بساتين تلاميذه ثمرات غرسه، آمين.

وبعد سلام كما تفتحت الأزهار، في نسمات الأسحار، وتحية تحيي قديم التذكار، وإن شطت الدار، فإني كتبته إليكم من حضرة قسنطينة يوم قدومي من رحلة كنت أعملتها لناحية الجزائر وتلمسان، لزيارة الأحياء والأموات من العلماء والصلحاء وأعيان الزمان، فتشرفت بسادات كثيرين من العلماء والصالحين. ومن أعظم الجميع قدرا، وأشهرهم ذكرا، سيدي أبي مدين الغوث، وسيدي محمد

السنوسي بتلمسان، وسيدي محمد بن عبد الرحمن، وسيدي عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر. ودعونا لنا والمؤمنين عامة، ولإخواننا أمثالكم خاصة، بما نرجو من الله تعالى فيه القبول وبلوغ المأمول. وذكرت لكم هذا لما أعلمه فيكم من محبة الصالحين. وإذا مكنتني الفرص إن شاء الله تعالى، كاتبتكم عن هذه الرحلة بمزيد تفصيل. ووافى كتابكم في غيابي في هذه الرحلة، فلما قدمت وقبلته، قدمته على غيره وقبلته. وكان ما داخلني من السرور بمجلو خطابه، مخففا لما غشيني من الخجل لمر عتابه، ولك العتبى يا سيدي فيما ذكرت، ومنك الفضل فيما به ابتدأت وتفضلت. فقد بلغتني القصيدة الغراء التي راقت ورقت، واستوجبت الحمد واستحقت. نظرت إلى أوصافك الكريمة فحليتني بها، ونسبتني إليها، ويجازيك بالخير الجزيل على ما فعلت.

هذا وإني ما أخرت الجواب متهاونا (أستغفر الله) ولا متكاسلا، ولكنني حسبت أني أجبتكم فيمن أجبت، حتى جاء كتابكم، فعلمت أنني غالط فيما ظننت، فبادرت بهذا متحاملا على فهمك، معتمدا على فضلك، والعفو يا سيدي من شيمة أمثالك، لا أحرمني الله من أفضالك، وأقول:

إن كنت قصرت في الكتابة والله ما حلت عن ودادي
وإنما كـــان ذاك مـني عن غفلة ليس من مـرادي
فسامحوا طاهري بفضـــل وحسبكم مسكنا فـؤادي

ويعود من العبد وجماعته السلام عليكم، وعلى جماعتكم وأحبابنا كلهم لديكم، وكثيرا داعيا لكم بالخير، طالبا لكم مثله. أخوكم وشاكر فضلكم ومملوك إحسانكم. في شهر جمادى الثانية عام 1337هـ.

عبد الحميد بن باديس عفى عنه[48]

عمله في مسقط رأسه بالوادي :

كان يملك مسكنا مجاورا لمسكن عائلته في حي أولاد أحمد، وكان يتردد عليه كلما قدم إلى الوادي في كل فصل صيف، حيث يقضي مدة ثلاثة أشهر، ليس للراحة والاستجمام، بل للكد والجد والاجتهاد. كما كان يملك النخيل في غوط بوروبة مجاورا لنخيل شقيقه أحمد. وكان يكلف أخاه أحمد بتعويضه في التدريس عند غيابه، إذ هما عبارة عن وجهين لنفس العملة، وصورة مستنسخة عن أصل واحد.

كان يقوم بإلقاء دروس في الفقه والنحو والتفسير في جامع سيدي المسعود بسوق الوادي. وقد شرع في تفسير سورة الكهف حتى وصل إلى آخر سورة السجدة.(49) كما كان يؤم جماعة المصلين في صلاة الجمعة في عهد عمار ميلودي. وعندما توفي الشيخ عمار عام 1361هـ/1942م، خلفه ابنه الشيخ العروسي (1327-1376هـ/ 1909-1956م) الذي كان معارضا لاتجاه الشيخ الطاهر، فتحول الشيخ إلى جامع النخلة للتدريس هناك عوضا عن الإمام محمد بن مسعود علاق الذي يترك له مكانه. وعندما يؤذن شقيقه البشير بالعبيدي (1894-1977م) لصلاة المغرب، يتأكد الناس من حضور الشيخ الطاهر لدرس التفسير، فيقبلون زرافات ووحدانا، ويحضر الشيخان الطاهر وشقيقه أحمد فيشرعان في تجويد الجزء المراد تفسيره، ثم يبدأ الشيخ الطاهر في تفسير ذلك الجزء.(50)

كان يتجنب الإفتاء في حضرة الشيوخ المقيمين في الوادي مثل: شقيقه الشيخ أحمد، والشيخ الميداني موساوي وغيرهما، ويحيل المستفتي إلى أحدهما. وفي يوم الأيام، وبينما كان الشيخ جالسا في دكان بكار بالحاقة متجها نحو الغرب، إذ بأحدهم يستفتي الشيخ الميداني، فأحاله الشيخ تأدبا إلى الشيخ الطاهر، فرفض الإجابة وقال له: إن هذا هو ابن البلد، وأنا ضيف عابر. وأمر الشيخ الميداني

بإجابته قائلا: افت له يا الشيخ المدني ولا تستح![51]

هكذا يقدر العلماء بعضهم بعضا، ويضعون كل واحد في موضعه اللائق به.

وذكر الشيخ الطاهر في أحد دروسه قائلا: يجب طاعة الوالدين ولو كان ذلك على حساب طلب العلم. كما أشار إلى أنه يجوز تقديم الزكاة للعالم ولو كان غنيا لاقتنائه الكتب.[52]

وحينما يستفتى الشيخ الطاهر، لا يجيب بسرعة، وعندما يكون مع جماعة، ويستفتيه أحدهم، يلتفت الشيخ إليهم، ويقول: أفيدونا يا جماعة. وفي بعض المرات، يطلب من شقيقه الشيخ أحمد الرد على الفتوى، لأنه لا يفارق ظله. ويروى عن إمام الجامع الكبير بحاسي خليفة، الأمين غمام عمارة(1920-1983م) أنه كان يجمع بعض الأسئلة، مترقبا قدوم الشيخ للوادي لعرضها عليه. وفي إحدى المرات، سأله عن لحم الكلب للتداوي، فأجابه بجواز كل شيء للتداوي، ما عدا الخمر ولحم الخنزير ولحم بني آدم.

كما أفتى أن من سب الدين أو الملة أو المذهب، يعد مرتدا، وتفك العصمة بينه وبين زوجته. كما تطلق الزوجة إذا سبت[53].

وقد حدث بينه وبين الشيخ محمد بن عبد القادر الجديدي مناقشة، فعندما ذكر الشيخ أحمد التجاني في حضرة الشيخ الجديدي قال: صلى الله عليه وسلم، وعندما عرضت القضية على الشيخ الطاهر، أنكر عليه قوله واستدعاه واستخبره، فقال له الشيخ الجديدي: هل نسيت قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً**﴾؟[54] فسكت الشيخ دون أن يعقب عليه.

دوره في إصلاح ذات البين بين الحركة الإصلاحية والطرقية عام 1938م

عندما قام وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بزيارة الوادي في أواخر ديسمبر عام 1937م، بدعوة من الشيخ عبد العزيز الشريف (1316-

1385هـ/1898-1965م)، وكان يترأس الوفد الشيخ عبد الحميد ابن باديس وعضوية كل من مبارك الميلي، والعربي بن بالقاسم جدري (التبسي)، ومحمد خير الدين، وحمزة بوكوشة، بالإضافة إلى أحد التجار الأثرياء في قسنطينة ويدعى إبراهيم بوزنادة، أصيل بلدة كوينين. وحدث خلاف كبير وصراع مرير بين الإصلاحيين والطرقيين، تطلب تدخل باشاغا الوادي محمد العيد بن حمة أموسى الذي سعى لدى حاكم تقرت الرائد رينابال بأن يحول الشيخ الطاهر ليدرس في جامع سيدي المسعود لما عرف عليه من الاعتدال في المواقف، والرزانة في السلوك، حتى يتمكن من إخماد نار الفتنة. ووافق الحاكم العسكري، وحول الشيخ إلى الوادي، مما جعل سكان تقرت يبدون سخطهم وتذمرهم. وعبروا عن تعلقهم بشيخهم بكل الوسائل المتاحة، فلم يطل مقامه هناك، بعد أن أرسى دعائم المصالحة والوئام، حتى عاد من جديد إلى مأمنه بتقرت عام 1358هـ/ 1939م. وأوصى بأن يخلفه تلميذه وابن شيخه، الميداني موساوي(1314-1376هـ /1896-1956م) الذي تولى التدريس بالمسجد المذكور عام 1358هـ/1939م، بعد الاتفاق مع القائد عبد الغني بن موسى (1901-1975)، أما الإمامة فكانت للشيخ العروسي ميلودي(1327-1376هـ/ 1909-1956م).

إنتاجه العلمي ومؤلفاته:

إضافة إلى ما قام به الشيخ الطاهر من أعمال جليلة في مجالات الوعظ والإرشاد والتدريس والإفتاء، فإنه كان لا يخلو مجلس من مجالسه أو محفل من محافله الدينية إلا وللشيخ فيه خطبة دينية يلقيها على مسامع الحاضرين، ويكون لها وقعها الكبير في نفوسهم.

وبالإضافة إلى ذلك، خلف لنا مجموعة كبيرة من المؤلفات الهامة التي تربو على

العشرين كتابا في ميادين اللغة والأدب والفقه، وبعض القضايا الاجتماعية والفلسفية، غير أنها لم تطبع حتى الآن، ولعمري متى يقرر أولو الأمر من عائلته طباعتها حتى يطلع عليها الباحثون في مجال العلوم الشرعية واللغوية والتاريخية؟

ويمكننا تصنيف مؤلفاته كما يلي:

1- الرسائل الفقهية:

لقد جاءت أغلب هذه الرسائل على شكل منظومات، برع فيها الشيخ كثيرا، وعرضها بأسلوب مبسط يستوعبه العام والخاص. ولعل أغلب المسائل التي تناولها الشيخ في أراجيزه، وشغلت حيزا كبيرا من حياته العلمية هي المسائل الفقهية واللغوية، ومن أهمها:

- رسالة الستر: التي قام الدكتور محمد محدة (1955-2006م) بتحقيقها والتعليق عليها، ونشرتها دار البعث بقسنطينة عام 1405هـ / 1985م.
- رسالة السلاح والعدة في مهمات أحكام المعتدة.
- رسالة في كيفية العبادة.
- رسالة رفع اللهو في كشف مسائل السهو.
- رسالة رفع الإبهام عن مسائل الصيام.
- رسالة الحج والعمرة وبيان كيفيتهما الشرعية.
- رسالة انكفاف الدمعة لانكشاف مسألة الجمعة.
- رسالة في الميراث.
- منظومة في أسباب التيمم.
- رسالة تنويل الصلات في تطويل الصلاة.
- رسالة الحيض والنفاس وأحكامهما.
- رسالة في قبلة الصلاة.

- حسن العوم في بحر مسائل الصوم

2- الرسائل اللغوية:

يعد الشيخ الطاهر من رواد اللغة العربية، ومن أئمتها المتمرسين. ومن أهم تآليفه فيها:

- نظم رسالة القطب الدردير في البيان بأسهل بيان.
- بغية الأمل في نظم رسالة العوامل.
- رسالة تلخيص الآجرومية.

3-أغراض أخرى:

ألف الشيخ عدة منظومات أخرى في أغراض متعددة منها:

- جريان المدد في الاعتصام برجال السند، وتتكون من 856 بيتا.
- رسالة التخويف والتخوف على منكر إيمان الصوفة والتصوف.
- النصيحة العزوزية في نصرة الأولياء والصوفية، وتتكون من 66 بيتا.
- نصيحة الشباب المزيحة للسحب والضباب.

وهذان النصيحتان قام بنشرهما في رسالة واحدة الكتبي الجلالي أبو مدين الحاج محمد بن أزوين بمطبعة حجازي بالقاهرة عام 1954.

- رسالة في الجبر والاختيار والدليل عليهما.
- رسالة الطبيعة.
- منظومة في مدح الرسول ﷺ بعنوان: " قل لمن يعشق ".
- له معارضة على قصيدة النابلسي الشهيرة " قالت أقمار الدياجي ".
- رسالة بعنوان " النصوص الصريحة في رد شبه غير صحيحة ". وهي تتضمن عشر نقاط:
- إثبات استحباب الأذكار عقب الصلوات الخمس.

- إثبات مشروعية الدعاء عقب الصلوات.
- مشروعية رفع اليدين أثناء الدعاء، ومسح الوجه بهما بعد الفراغ منه.
- ذكر الخلاف في المعقبات هل تقرأ سرا أو جهرا.

موقفه من لغة أهله ومن مكينة الخياطة:

وقد قام الشيخ بالدفاع عن لغة أهل سوف التي يرى أنها لغة عربية صحيحة غير جريحة. دافع عنها الغير بسبب بعدها عن مناطق التحريف والتزييف، فقال:

لغتنا معشر أهل ســـوف يجلها كل فتى عــروف
معربـة لأنها من نفـــــر عرب تناءوا عن بلاد البربر
وإن تصادف كلمه معربــه فقدوة بالعرب المستعربه
وإن تصادف لحنة في الكلم فالاختلاط بفريق العجـم

وعندما شاهد لأول مرة آلة الخياطة التي تجنب الإنسان العمل بيده، وتكسبه الوقت وإتقان الصنع، فقال مستغربا:

انظر إلى مكينة الخياطــة كأنها عصفورة لقاطـــــة
تلقط وهي لا تنال خردلـة لكن تخيط الثوب مثل العملة
فانظر لهذا الحادث الغريب وذاك صنع ربـــك القريب(55)

وعندما اشتد به المرض، وصار يأكل الحمية (الرجيم)، أشار عليه أحد حفدته بأكل الرجيم، فقال:

أعوذ بالله من الرجيم ومن لزوم الأكل بالرجيم.

كما نظم الأبيات التالية يصف حالة الكبر، فقال:

سبعة تدهمنـــا وقت الكبـــر
تصاغر الخطـــا كحالة الصغـــر
ونقص في السمع وضعف في البصر
ونقص في الأكـل إذا الزاد حضـــر

ونـــوم بين الناس من غير سهـــر
ونقص في الفراش في حالة الوطـــر
وسرعة في البـول أدهى وأمـــــر(56)

مراثيه:

كان العبيدي من أقرب الناس إلى عشيرته وأحبائه ومقربيه، يفرح لأفراحهم ويحزن لأتراحهم. وبهذه المناسبة، توفي شيخه محمد العربي موساوي في شهر ذي الحجة عام 1322هـ/ فيفري 1905م فرثاه الشيخ بالقصيدة التالية، حيث قال:

ومن المراثي، ما رثيت به شيخنا العلامة الهمام، عالم الصحراء، ناشر لواء العلم بهاته الديار. القدوة الحجة الثقة، شيخي ووسيلتي إلى الله، سيدي محمد العربي بن محمد الصالح بن موسى، قدس الله روحه، ونور وبرد ضريحه. وكانت وفاته آخر سنة 1322هـ، وكنت إذ ذاك بتونس، ونصه:

ليس للحال بقاء فاحـذروا سطوات الدهر واللهو ذروا
واذكروا قوما صفا الوقت لهم فرحوا بوقتهم واستبشـروا
مثل أهل سـوف قد كان لهم سيد دراكـة محـــرر
بحر علم طود فهم راســخ بارع حبر همـــام أكبر
نجل موسى العربي المرتضى فهو بحر وسواه جعفـــر
كان ذا زهد عظيم همـــة نهر علم بالعلوم ينهـــر

تقاريظ مؤلفاته من بعض العلماء:

التقريظ الأول:

الذي جادت به قريحة الفاضل الزكي، الأديب الكبير، الشيخ أحمد بن العبيدي، شقيق الأستاذ وتلميذه. فأجاد وأفاد بما جمع في الشعر والنثر من المعاني الرائقة، والتشبيه البليغ، والأوصاف الساحرة، فقال:

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه وعبده، وعلى آله

وأصحابه ووارثي سنته من بعده، وبعد: فيقول قليل البضاعة، عليل التفريط والإضاعة، أحمد بن العبيدي الوادي رزقه الله التوفيق، وهداه سواء الطريق، إنه أطلعني أستاذنا المحقق، وملاذنا المدقق، العلامة النحرير، تحفة الزمان، سيدي الطاهر بن العبيدي، حفظه الله على رسالته الفيحاء الموسومة بـ " تنويل الصلات في تطويل الصلاة " فوجدتها تسر المومن الحريص على دينه، جائلة من التحقيق في ميادينه. أنجح الله سعيه المشكور، وأدام النفع به إنه رؤوف شكور، وحين جلت في كراسها، وقطفت شهي غراسها، قلت:

هل ذي رياض شذاها ينعش الواني أم ذي حياض تزيل غلة العاني
أم ذي شموس تجلت أم بدور هدى تردي غياهب تدجيل وبهتان
أم ذي رسالة تنويل الصلات أتت تجر ذيلا وتزري عقد عقيان
إن شئت تتبع آثار الرسول فكن لما حوته سميرا كل أزمان
قد أوضحت للصلاة كل كيفية فانظر لأنفالها تظفر بتبيان
لله درك يا شيخ الشيوخ فقد بينت للحق أعلاما بإيقان
فبينما الناس في مهواة جهلهم سكرى عن العلم في سر وإعلان
إذ قمت للدين في ضعف تدعمه جازاك ربك يا مولى بإحسان
يا حسن مقعدك السامي وما رقمت يمناك يا صاحب التحرير والشان
أنت الفريد بهذا العصر غرته فدم لنفع الورى في حفظ رحمان
خادم جنابكم السامي أحمد بن العبيدي، كان الله له آمين.

ثناء الشيخ عطية بن مصطفى عليه:

ولما احتمع الشيخان العلامة الطاهر العبيدي، والعلامة عطية بن مصطفى، مدرس وإمام بالجلفة، وتعارفا مع بعضهما، وحضر الثاني لدرس الشيخ الطاهر، وأعجبه درس التفسير، فأنشد قائلا:

مفخرة القطر الإمام الطاهـر له على الإسلام حق ظاهـر
لأنه أبدى معالم الهـــدى بعلمه فكم لحائر هـــدى
قدوة خير نهجه قويـــم إمام رشد نفعه عميـــم
قد ألف التآليف العديـــدة ذات السنا والرفعة المفيـدة
إذا تصدى لبيان آيـــة فإنه أعجوبة وآيـــة
يأتي بأقـوال المفسرين من مثل ابن عباس وأمثال الحسن
إلى الخطيب والإمام الصاوي كأنه عن قائليهـــا راوي
نقل صحيح ومقال فصـــل دلا على رسوخه في الفضـل
يا فوز من عنه روى أو عرفه فالله يسقيه كؤوس المعرفـة

ولما كتب قصيدة للشيخ الطاهر يستأذنه أن يرخص له بتدريس القرآن الكريم في الجلفة، رد عليه الشيخ بنفس القافية والوزن، بأنه ليس بحاجة لأن يستأذنه للترخيص له بالتدريس.

وقد عثر على رسالة من الأستاذ الخضر هدية موجهة إلى الشيخين: الطاهر وأحمد العبيدي بتاريخ 20 شوال عام 1355هـ/ 2 يناير1937م، رسالة بدون عنوان.

كما عثر على رسالة بأرشيف الزاوية التجانية بتماسين مؤرخة في 13 فبراير 1951م، يطلب فيها الشيخ الطاهر من شيخ الزاوية أن يساعده في الترقية، وفعلا استجاب لطلبه، وتمت ترقيته في وظيفته(57).

وفـاتـه:

بعد أن أمضى الشيخ هذا العمر الحافل بالعمل الدؤوب الذي استمر ستين عاما في حقل التدريس والإمامة والإفتاء، وبث روح العلم الأصيل في نفوس الناشئة من الشباب والشياب على حد سواء، أصيب بمرض عضال ابتداء من عام

1386هـ/ 1966م، ألزمه الفراش طوال ثمانية عشر شهرا، حيث تدهورت صحته، وأحس بدنو أجله، فكان يقول لأهله: «إدوني لبقعتي، إدوني لبقعتي». فقال له ابنه الأكبر المكي: لقد حولناك إلى بقعة أخرى، فقال له: لا، إلى المقبرة. وهذا قبل يومين أو ثلاثة من وفاته التي صادفت يوم الاثنين 28 شوال 1387هـ/ 28 جانفي 1968م، ورفعت روحه إلى بارئها، وهو خالي الوفاض وربه عنه راض، بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة، وانطفأت بذلك مشكاة الحقيقة، واختبأ ينبوع الطريقة. وأوصى أن يدفن بمقبرة تقرت. وقد خرج في جنازته جمع غفير جاؤوا من كل حدب وصوب، من سوف والزيبان وواد ريغ وورقلة وغرداية والأغواط ومسعد والجلفة. وخرج الجميع عن بكرة أبيهم يشيعونه إلى مثواه الأخير، ويلقون عليه نظرة الوداع. وكان الإمام الإباضي الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض(1307-1400هـ/1889-1980م) في طليعة المشيعين وفي مقدمة المودعين. وقد أبنه ثلاثة أو أربعة رجال، ومنهم الشيخ إبراهيم بيوض الذي قال عنه: لقد سقطت عرصة في الإسلام. ودفن في مدينة تقرت[58] بعد أن صلّى عليه صهره الشيخ الطاهر بن محمد الصالح سالمي، (1320-1398هـ/1900-1978م) شيخ زاوية سيدي سالم الرحمانية بالوادي.

الخاتمة:

وفي الختام، يعد الشيخ الطاهر العبيدي من أبرز علماء سوف في القرن المنصرم. تقلد مهمة شاقة سواء في الوادي أو في تقرت، حيث قام بأعباء التدريس في مختلف ميادين الشريعة والتفسير والحديث النبوي الشريف وعلم العقائد، بالإضافة إلى حركة الإفتاء والتأليف والوعظ والإرشاد. كما كانت مجالساته ممتعة وشيقة ومفيدة.

لقد كان بحق رائدا في منطقة الجنوب الشرقي، مثل الطلع النضيد للنخل الباسقات. ترك بصماته على الساحة الثقافية قاطبة. وقد أقر بمكانته هذه فطاحل

العلماء، وكبار المثقفين، مثل: محمد الخضر حسين، شيخ جامع الأزهر، الذي أثنى عليه لما حضر درسه في التفسير. كما اعترف بمقامه السامي، رائد النهضة الجزائرية الشيخ عبد الحميد بن باديس لما مر على تقرت وتعارف معه، ولا ينبئك مثل خبير. وإلى حد الساعة، ما زالت آثاره العلمية محل تنقيب وتمحيص وتقص من المثقفين الجزائريين. وما علينا إذن إلا التشمير عن سواعد الجد، لمكابدة عناء البحث دون كلل ولا ملل، للتعرف على حياة الناجحين، لأن النجاح يجر إلى النجاح، كما يقول المثل.(59)

الحواشي والإحالات:

1- عبد السلام سليماني: «الشيخ الطاهر العبيدي بمناسبة عيد العلم». محاضرة ألقيت بالمسجد الكبير بتقرت يوم الجمعة 14 أفريل1983، مرقونة بالآلة الكاتبة ص2.

2- إبراهيم العوامر: كتاب الصروف في تاريخ الصحراء وسوف. طبعة الدار التونسية للنشر1977 ص281.

3- مقابلة شخصية مع عبد الكريم شتحونة يوم 07-12-2009 بمنزله بالوادي.

4- لقاء مع عبد الله النان وأحمد خراز يوم الجمعة 14/11/ 2008م على الساعة 17.

5- المكي عبيدي: الشيخ الطاهر، نشأته ونبذة من ترجمته. مراسلة بعث بها إلي محمد المداني عبيدي(حفيد الشيخ الطاهر) يوم 2014/12/08

6- عبد السلام سليماني: المرجع السابق ص2.

7- انظر شجرة العائلة بخط الشيخ أحمد العبيدي، وعندي نسخة منها.

8- ولد الشيخ جلول حابي عام1839م، وتخرج على يده الكثير من طلبة القرآن الذين كان يدرسهم في بيته. وهو من السلالة الشريفة، ينتهي نسبه إلى الولي الصالح سيدي الحفيان، دفين ورقلة. ودفن الشيخ جلول بمسجد سيدي الحفيان، الذي ينتهي نسبه للرسول-ص-. درس الطالب جلول عن والده. توفي عن عمر يناهز 85 عاما، سنة 1924.

مراسلة محمد المداني بن المكي(حفيد الشيخ الطاهر).

9- الطاهر العبيدي: رسالة الستر. تحقيق وتعليق الأستاذ محمد محدة، مطبعة البعث بقسنطينة 1985 ص5.

10- مقابلة شخصية مع الأستاذ محمد الطاهر بن عبد السلام العمودي (محاسب متقاعد، قريب للعائلة) عام 2003 بمنزله بالوادي.

11- مقابلة شخصية مع الشيخ أحمد العبيدي عام 1968 بمنزله بالوادي.
12- تقاييد مصطفى سالمي، ومحمد الطاهر العمودي السابق ذكره، وأحمد خراز).
13- علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 13هـ/19م. رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر. قدمت لجامعة الجزائر عام 2002 (غير مطبوعة) ص152-153.
14- المكي عبيدي: الشيخ الطاهر، نشأته ونبذة من ترجمته. مراسلة بعث بها إلي محمد المداني عبيدي(حفيد الشيخ الطاهر) يوم 2014/12/08؛ عبد السلام سليماني: المرجع السابق ص2.
15- ويكيبيديا الموسوعة الحرة.
16- مقابلة مع الشيخ أحمد خراز بمنزله يوم 04-11-2009.
17- المكي عبيدي: الشيخ الطاهر، نشأته ونبذة من ترجمته. مراسلة بعث بها إلي محمد المداني عبيدي(حفيد الشيخ الطاهر) يوم 2014/12/08.
18- عبد السلام سليماني: المرجع السابق ص2
19- محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين ج3. دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1982 ص 304، 306-307).
20- رثاء الشيخ أحمد لشقيقه الشيخ الطاهر.
21 - مراسلة محمد الميداني عبيدي، حفيد الشيخ الطاهر.
22- عبد السلام سليماني: المرجع السابق ص2.
23- عبد القادر ميهوبي: معجم الصفوة، سير وتراجم لعلماء وأعلام وشيوخ من الجزائر في الفقه والتصوف، الثقافة والأدب، العلم والجهاد، الإصلاح والسياسة، ج 1. تين وزيتون للنشر والتوزيع(د.ط.)، القبة، الجزائر، 2012، ص270-271؛ سارة تامة وآخرون: الشيخ الطاهر العبيدي ودوره التعليمي والإرشادي بوادي ريغ (1905-1962). مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ. جامعة الوادي، 2012-2013، ص39.
24- أحمد بن السائح :" الشيخ العلامة الطاهر العبيدي ". أسبوعية العقيدة (الجزائر:08-02-1992) ص02.
25- المكي عبيدي: الشيخ الطاهر، نشأته ونبذة من ترجمته. مراسلة بعث بها إلي محمد المداني عبيدي(حفيد الشيخ الطاهر) يوم 2014/12/08
26- ولد الشيخ الميداني موساوي بالوادي خلال عام 1314هـ/1896م. حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ بالقاسم شتحونة بجامع أولاد خليفة بالوادي. درس العلوم الشرعية واللغوية على يد الشيوخ إبراهيم بن عامر والشقيقين: الطاهر وأحمد، ثم توجه إلى جامع الزيتونة، وواصل دراسته هناك. ولما عاد صار مدرسا بجامع السوق مدة 17 عاما، حتى وفاته يوم الأربعاء 23 ذي الحجة

عام 1375هـ/01-8-1956م.(من وضع المؤلف)

27- مقابلة شخصية مع الشيخ أحمد العبيدي عام 1968 بمنزله بالوادي.

28- مقابلة شخصية مع عبد الله النان جار الشيخ الطاهر العبيدي.

29 - أحمد العبيدي: النصرة الوفية في الذب عن الصوفية(مخطوط)

30- إجازة الشيخ الطاهر لأخيه الشيخ أحمد مختومة ومؤرخة بتقرت يوم 14 جمادى الثانية سنة 1338هـ، وأحتفظ بنسخة منها، تفضل بإرسالها إلي مشكورا، الأستاذ محمد الميداني عبيدي

31- حسبما هو مبين في شهادة صادرة عن رئيس المندوبية الخاصة لبلدية الوادي مؤرخة يوم 1964/9/25م.

32- مقابلة شخصية مع الشيخ البخاري بن عبد الحفيظ عوينات (معلم متقاعد، ومن تلاميذ الشيخ) يوم 03 ماي 2006 بمنزله على الساعة 11.30.

33- أحمد بن السائح: المرجع السابق ص02.

34- مقابلة مع الشيخ الصادق قديري يوم 08-06-2008 على الساعة 11 صباحا بمنزله بالوادي، ومقابلة مع الأستاذ محمد مداني حفيد الشيخ الطاهر.

35- عبد المجيد حبة: من علماء منطقة وادي ريغ. المعرض الأول حول منطقة وادي ريغ، من 04 إلى 06 ماي 1998.

36 - سورة البقرة، الآية 227.

37- ومنها التفسير الذي ألفه الشيخ عبد الرحمن الثعالبي وعنوانه (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، أما الشيخ العلامة أحمد بن محمد الصاوي المالكي، فألف حاشية على تفسير الجلالين في ثلاثة أجزاء، وألف سليمان بن عمر العجيلي، الشهير بالجمل، المتوفى عام 1204ه، كتابا في أربعة أجزاء عنوانه: « الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ». وألف محب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، كتابا عنوانه (ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن)، بالإضافة إلى كتاب روح البيان في تفسير القرآن لإسماعيل حقي (ت. 1127ه).

38- عبده محمد بابا: المجموعة المباركة. المطبعة الثعالبية بالجزائر ص43.

39- أحمد بن السائح: المرجع السابق ص03.

40- عبد الباقي مفتاح: أضواء على الطريقة الرحمانية ص 178.

41- مقابلة شخصية مع الحاج عبد الله النجعي، صهر الشيخ إبراهيم، عمره 95 عاما، يوم الخميس 28 – 02 – 2008، على الساعة 10صباحا.

42- عبد السلام سليماني: المرجع السابق ص5.

43- تسجيل صوتي مصور عام 1992 للشيخ المرحوم مدني بن هدية، إمام مسجد في الزاوية العابدية بتقرت.

44 - تسجيل صوتي مصور عام 1992م للشيخ علي كافي، وهو من تلاميذ الشيخ، ومدير مدرسة أساسية متقاعد.

45 - عبد القادر موهوبي: المرجع السابق ج1، ص 273-274.

46- المكي عبيدي: الشيخ الطاهر، نشأته ونبذة من ترجمته. مراسلة بعث بها إلي محمد المداني عبيدي(حفيد الشيخ الطاهر) يوم 2014/12/08.

47- مقابلة مع علي الحاقة يوم الأربعاء 30-12-2009م بزاوية سيدي سالم بالوادي على الساعة 10 و45 د.

48- عبد السلام سليماني: المرجع السابق 6-8.

49- مقابلة مع الشيخ الصادق قديري يوم 16-08-2008 على الساعة 10.30 صباحا بمنزله بالوادي.

50- مقابلة مع الشيخ عبد الكريم شتحونة يوم الخميس 17-12-2009م.

51- مقابلة مع علي الحاقة بزاوية سيدي سالم بالوادي يوم الاثنين 11-08-2008 على الساعة 10.

52- مقابلة مع الشيخ أحمد خراز بمنزله بالوادي يوم 22-05-2009 .

53- سارة تامة وآخرون: المرجع السابق ج1، ص52.

54 - الأحزاب، الآية 43.

55- مقابلة مع المربي قريشي بن علي المنصوري عام 1968 بدكانه بسوق الوادي.

56 - نقلتها عن كاتبها عبد الرحمن العبيد بن الهاشمي بن العربي يوم 18 جانفي 2015.

57- سارة تامة وآخرون: المرجع السابق ص61-62.

58- أحمد بن السائح: المرجع السابق ص05 ؛ عبد السلام سليماني: المرجع السابق ص 16.

59- قصيدتان في رثاء الشيخ الطاهر من نظم تلميذه وشقيقه الشيخ العلامة أحمد العبيدي، أملاهما علي بإقامته بالديار الخمس بالحراش عام 1975.

قائمة المصادر والمراجع

❖ - الكتب المنشورة :

1- القرآن الكريم.

2- البختري، أحمد: الجديد في أدب الجريد، الدار التونسية للتوزيع، تونس 1973.

3- بالحميسي، مولاي : الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الطبعة الثانية الجزائر، 1981.

4- بالهادف، بن سالم وسالمي، رشيد : زاوية سيدي سالم الرحمانية قلعة القرآن الكريم في ربوع سوف.

5- البرزنجي، جعفر الحسني (1690-1766) : الجوهر في مولد النبي الأزهر، طبع بمصر سنة 1889.

6- الذهبي، محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج 15.مؤسسة 2001.
7- الطويل، مسعود محمد: مقدمة حول النصيحة العزوزية في نصرة الأولياء والصوفية للشيخ الطاهر العبيدي. مطبعة حجازي بالقاهرة بدون تاريخ.
8- عبده، محمد بابا: المجموعة المباركة. المطبعة الثعالبية بالجزائر.
9- العبيدي، الطاهر: رسالة الستر. تحقيق وتعليق الأستاذ محمد محده، مطبعة البعث بقسنطينة 1985.
10- العوامر، إبراهيم بن محمد الساسي: البحر الطافح في بعض فضائل شيخ الطريق سيدي محمد الصالح. مطبعة بيكار وشركائه بتونس عام 1323هـ.
11- العوامر، إبراهيم بن محمد الساسي: كتاب الصروف في تاريخ الصحراء وسوف.طبعة الدار التونسية للنشر، 1977
12- غنابزية، علي: الحركة العلمية بوادي سوف. مقال منشور في كتاب وادي سوف دراسة تاريخية واقتصادية وثقافية متنوعة. تأليف مجموعة من المختصين، طبع في مطبعة مزوار للطباعة والنشر والتوزيع.
13- قادري عبد الحميد إبراهيم: تقرت البهجة، قراءة تاريخية واجتماعية. مطبعة الأسكندرية،(د.ط)، (د.ج)، قسنطينة، الجزائر، مارس،2011.
14- ـــــ،ـــــــــ: الموجز الكافي من حياة علي كافي. الطبعة الأولى، 2013، دار الأوطان، الجزائر.
15- القسنطيني، محمد العروسي: وسيلة المتوسلين بفضل الصلاة على سيد المرسلين ﷺ. الطبعة الأولى 1965م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
16- محفوظ، محمد: تراجم المؤلفين التونسيين. دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1982.
17- مفتاح عبد الباقي: أضواء على الطريقة الرحمانية. مطبعة الوليد بكوينين الوادي، 2004.
18- موهوبي عبد القادر: معجم الصفوة- سير وتراجم لعلماء وأعلام وشيوخ من الجزائر في الفقه والتصوف- الثقافة والأدب- العلم والجهاد- الإصلاح والسياسة، ج1. تين وزيتون للنشر والتوزيع (ط،د)، القبة، الجزائر، 2012.
19- ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

❖ .الأطروحات غير المنشورة:

1- تامة وآخرون: الشيخ الطاهر العبيدي ودوره التعليمي والإرشادي بوادي ريغ(1905-1962). مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ. قدمت لجامعة الوادي عام 2012- 2013 (غير مطبوعة).
2- غنابزية، علي: مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 13هـ/19م. رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر. قدمت لجامعة الجزائر عام 2002 (غير مطبوعة).

❖ .وثائق وعقود ومراسلات:

1- مراسلة محمد المداني بن المكي(حفيد الشيخ الطاهر العبيدي).

2- شهادة الميلاد المؤرخة في 2003/7/12 رقم 2030.

3- شهادة صادرة عن رئيس المندوبية الخاصة لبلدية الوادي مؤرخة يوم 1964/9/25م.

4- نسخة من الدفتر الأصلي لشهادة الميلاد رقم 9528 مؤرخة في 2004/9/04م .

5- نسخة من سجلات شهادات الوفاة رقم 79 مؤرخة في2004/9/04م.

❖ .المخطوطات:

1- إجازة الشيخ الطاهر لأخيه الشيخ أحمد مختومة ومؤرخة بتقرت يوم 14 جمادى الثانية سنة 1338هـ، وأحتفظ بنسخة منها.

2- سالمي، مصطفى: تقاييد (مخطوط) حققه وعلق عليه الأستاذ علي غنابزية.

3- شجرة العائلة بخط الشيخ أحمد العبيدي، وعندي نسخة منها.

4- العبيدي، أحمد: إغاثة القاصدين لفتح باب وسيلة المتوسلين.

5- ـــــ،ـــــ: النصرة الوفية في الذب عن الصوفية.

6- عبيدي المكي: الشيخ الطاهر، نشأته ونبذة من ترجمته. مراسلة بعث بها إلي محمد المداني عبيدي(حفيد الشيخ الطاهر) يوم 2014/12/08.

7- قادري عبد الحميد: الطالب الطاهر بلحسن. مكتوب على الآلة الراقنة

❖دوريات مختلفة:

1- ابن السايح، أحمد: «العلامة الشيخ الطاهر العبيدي، الفقيه الصوفي». أسبوعية العقيدة رقم 1 و 2 (الجزائر: 08-02-1992).

2- بن الربيع محمد حرزلي: نبذة عن حياة الشيخ خليل القاسمي الحسني رحمه الله في منتدى التاريخ، بمنتديات الهامل.

3- غول حفناوي بن عامر: محطات في مسيرة العلامة عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي. نشر بباب المقالات بمجلة التبيين عن جمعية الجاحظية، العدد 31، سنة 2008.

4- مشنان، محند أو ادير: « الإمام سيدي عبد الرحمن الثعالبي» . الصراط، العدد 12(الجزائر: فيفري 2006).

❖ .محاضرات وندوات وبرامج إذاعية:

1- تسجيل صوتي مصور عام 1992 حول الشيخ الطاهر العبيدي.

2- سليماني، عبد السلام: «الشيخ الطاهر العبيدي بمناسبة عيد العلم». محاضرة ألقيت بالمسجد الكبير بتقرت يوم الجمعة 14 أفريل 1983، مرقونة بالآلة الكاتبة.

Sheikh Tahar Al obeidi –His life and Works

By: Prof. Achouri Guemaoun

Eloued University

Abstract:

The study dealt with the life of a great sheikh, who is considered among the scholars of the region of Souf .

Sheikh Tahar Al obeidi dedicated his life and youth to more than sixty years in the formation of young people and improve their level of knowledge

After completing his studies at the Mosque of Zaytouna

He stood up to teach and write. He wrote many books.

In this presentation we will learn about this personality and what he has given to science and the homeland and some aspects of his life.

Words key:

Tahar – Obeidi – his life– works Education.